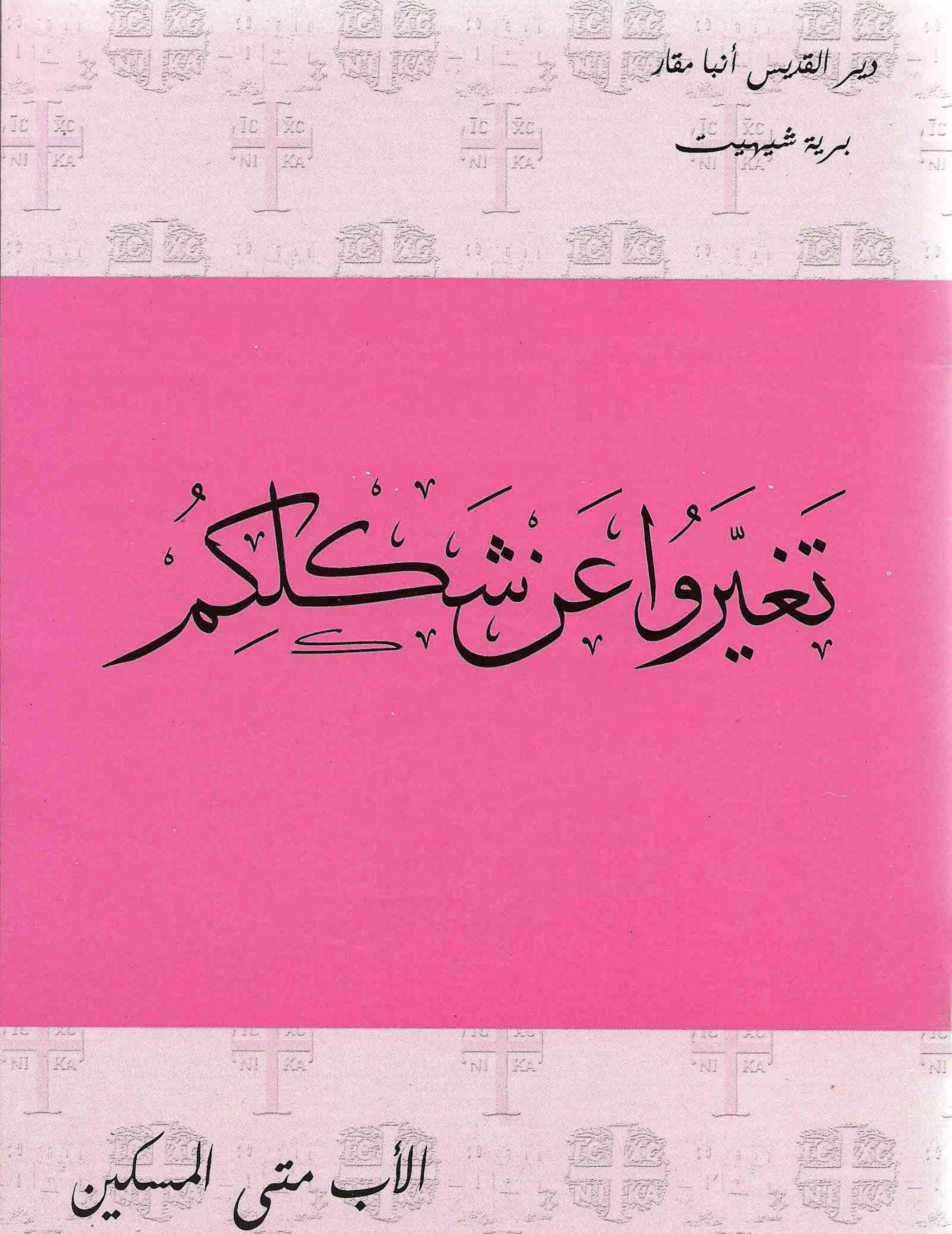


دير القديس أنبا مقار

برية شيهيت

تغيروا عن شكلكم

الأب متى المسكين

دير القديس أنبا مقار
برية شيهيت

تغيَّروا عن شكلكم

رسالة إلى الذين
يشتاقون إلى حياة أفضل

الأب متى المسكين

محتويات الكتاب

حتمية التغيير المستمر في الحياة المسيحية

الحياة المسيحية ــ أي الحياة بالروح كميلاد جديد من الله ــ تقوم أو تُبنى على عملية غاية في الأهمية، وهي: التغيير الدائم أو المستمر في الطبيعة البشرية.

و يُعتبر **المؤثر** الأساسي والعاملُ للتغيير في صميم الطبيعة البشرية، هو الله نفسه؛ وذلك بالفعل المباشر للروح القدس، من خلال الأسرار، و بالعشرة اليومية: بالحب والتسبيح والشكر والإعتراف.

أما **الواسطة** التي أُعطيت للإنسان من الله لإستخدامها في الحصول على التغيير المستمر بالإرادة والإجتهاد الشخصي، فهي الإنجيل ــ أي كلمة الله ــ وهي واسطة حيّة وفعّالة، وهي واسطة روحية خالصة.

فكلمة الله هي روح وحياة وفعل ــ بحسب تعبير المسيح نفسه، وهي بتعبير بولس الرسول: «حية وفعّالة وأمْضَى من كل سيف ذي حدّين» (عب ٤ : ١٢)، قادرة أن تخترق أعماق النفس والجسد لتبلغ غايتها من التغيير. هذا وصف عملي وحقيقي، فهل يمكن أن نقبل هذا ونؤمن به ونبدأ بتنفيذه؟

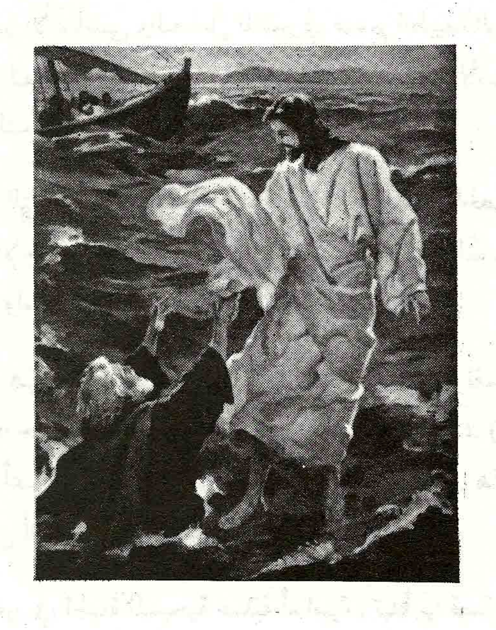
و يُعتبر التغيير في الحياة المسيحية عملية أساسية، تبدأ بها قصة الحياة مع الله، وتستمر بواسطتها. فالتغيير عملية جذرية، و بدون هذه العملية لا تكون بداية حياة ولا يكون استمرار في الحياة مع الله.

والتغيير في الحياة المسيحية له شقان:

شق إلهي يكمل بعمل الله السري،

وشق إنساني يكمل بعمل الإنسان بالجهد والإرادة والسهر.

والإثنان مترابطان، كلٌّ منهما يدفع الآخر و يستديمه.



أولاً ــ الشق الإلهي في التغيير

□□□

أ ــ سر الميلاد الجديد:

هذه هي أول وأهم عملية في الحياة المسيحية، ولا قيام لهذه الحياة بدونها، وهي الميلاد السري من الله رأساً؛ حيث يتم تغيير جوهري في خلقة الإنسان الأولى، أي في الخلقة الترابية من آدم، فيصبح الإنسان بالميلاد الجديد أو الميلاد الثاني من فوق ــ أي من الروح القدس والماء ــ ابناً لله عوض أن كان ابناً لآدم، ابناً للقيامة عوض أن كان ابناً للموت.

و يبتدىء الإنسان أن يأخذ ــ كنتيجة حتمية لهذا الميلاد ــ عوامل روحية فائقة، لحياة جديدة تغاير وتخالف الحياة الأولى جداً وفي كل شيء:

ــ **«لا بأعمال في برٍ عملناها نحن، بل بمقتضى رحمته خلّصنا بغسل الميلاد الثاني وتجديد (الخلقة) الروح القدس الذي سكبه بغنى علينا بيسوع المسيح مخلصنا. حتى إذا تبررنا بنعمته نصير ورثة حسب رجاء الحياة الأبدية.»** (تى ٣: ٥ــ٧)

هذه الحياة الجديدة، حياة القيامة من الأموات للميراث مع المسيح، وضع المسيح كل عناصرها ومواهبها وسماتها و وصاياها في الإنجيل.

ب ــ سر الجسد والدم:

ولكي يضمن المسيح دوام هذه الحياة الجديدة جعلها مستمدة منه، أي من حياته، أي من روحه ومن جسده ومن دمه، فأسّس بعد سر الميلاد الجديد من الله (بالروح القدس) سراً آخر هو سرُّ الإغتذاء أو الأكل والشرب السر يين من جسده

ودمـه، لإسـتـمـداد قوة الحياة الجديدة، بكل صفاتها وسماتها وأفكارها وسلوكها في المسيح ومن المسيح شخصياً.

وكـلٌّ مـن الـسر ين، أي سر الميلاد الجديد وسر التناول من الجسد والدم، يُعتبر فعل ارتباط بالطبيعة الإلهية الحية الفعالة باستمرار. لذلك، فكلٌّ من السر ين عنصر جـوهري من عناصر التغيير، وهو تغيير مستمر ودائم لأن الفعل الإلهي أو الروحي غير الـفـعـل الـبـشري أو المادي؛ لأن الفعل البشري، كالميلاد من الجسد أو الأكل من ثـمـرات الأرض، هـو فـعـل زمني يـبـتدىء و ينتهي؛ أما الفعل الإلهي فيبتدىء ولا يـنـتهي أبداً. أي أن التغيير الإلهي الذي يضطلع به الروح القدس في الإنسان في كل من سرّ الميلاد وسر التناول من الجسد والدم هو تغيير دائم ومستمر لا ينتهي أبداً؛ هذه الحقيقة هي بحد ذاتها ينبغي أن تكون مصدر فرح وثقة وشجاعة لنا تغذينا برجاء حي لا ينقطع.

فـالـميلاد الجديد الذي نلناه من الماء والروح القدس، هو فعلُ تغيير دائم ومستمر في كـيان الإنسان، مثل كل أفعال الله، ينميه الروح القدس و يكمله كل يوم فينا؛ ولـكـن دون أن يكون لنمائه ولكماله نهاية. نستجليه بأعمالنا ونكتشف استمراره فينا بـاقترابنا كل يوم من مصدره، أي من الروح القدس، بالعبادة والشكر، بالتسبيح، بـالإعـتـراف، بـالـحـب الـصـادق. ولـكـن أن نبلغ كماله ونهايته، فهذا فوق قدراتنا البشر ية.

كـذلك سر التناول من الجسد والدم، كما قلنا، فهو سرُّ استمداد حياة من حياة المـسـيـح، وارتـبـاط به شخصياً. فكل مرة نأكل من الجسد والدم ندخل في سرِّ موت الرب ونعلنه، أي نعترف به، لأننا نتغير إليه، نموت معه ونقوم معه.

سرُّ الأكـل والـشـرب مـن جسد الرب ودمه هو بمثابة فعل تغيير مستمر في طبيعة

الإنسان، لأن به يتم سرُّ عبور في الموت مع المسيح، وعبور في القيامة مع المسيح؛ وذلك لأن موت المسيح وقيامة المسيح فعلان ذوا فعالية وأثر دائمين؛ لذلك أكد الإنجيل على أن الأكل والشرب هما عملٌ مستمر: «**كل مرة تأكلون من هذا الخبز** وتشربون من هذه الكأس تبشرون بموت الرب إلى أن يجيء.» (١كو١١: ٢٦)

لذلك أصبح من الضروري جداً لنمو حياتنا الروحية، أن ننفتح بالإيمان لعمل الله فينا الدائم بالأسرار، سواء الذي تم بالميلاد الثاني (المعمودية)، أو الذي يتم بالتناول من الجسد والدم. فهذا هو الجزء الجوهري والأساسي في دفع التغيير الذي به نتحول من حياة حسب الجسد إلى حياة حسب الروح بصورة مستمرة، بدون توقف، لأن عمل الله لا يتوقف أبداً. و يُدرِك هذا كلٌّ من كانت حياته حارة بالروح، فإنه يشعر بتجديد حقيقي كل يوم وكل لحظة.



ثانياً ــ الشق الإنساني في التغيير

□□□

الشق الإنساني في التغيير في الحياة المسيحية يأتى تابعاً ومعتمداً على الشق الإلهي الذي تم في حياة الإنسان بالأسرار، فيصبح على الإنسان أن يتغير بإرادته لأنه أخذ إرادة جديدة وطبيعة جديدة في سر الميلاد الجديد؛ و يصبح على الإنسان أن يتغير بفكره وسلوكه، لأنه أخذ قوة حياة جديدة من حياة المسيح في سر التناول من الجسد والدم.

ولكن الملاحظ أن التغيير البشري سواء بالإرادة أو بالفكر أو بالسلوك لا يأتى من تلقاء ذاته كنتيجة تلقائية للمعمودية والتناول؛ فالرب جعل هنا وسيطاً آخراً أساسياً جداً، وهو **الإنجيل**، أي كلمة الله الحية الفعالة، التي عبَّر عنها المسيح أنها **روح**: «الكلام الذي أكلمكم به هو روح وحياة» (يو٦: ٦٣)، والتي عبَّر عنها بولس الرسول كمختبر حقيقي أنها «حية وفعالة وأمضى من كل سيف ذي حدَّين» !!

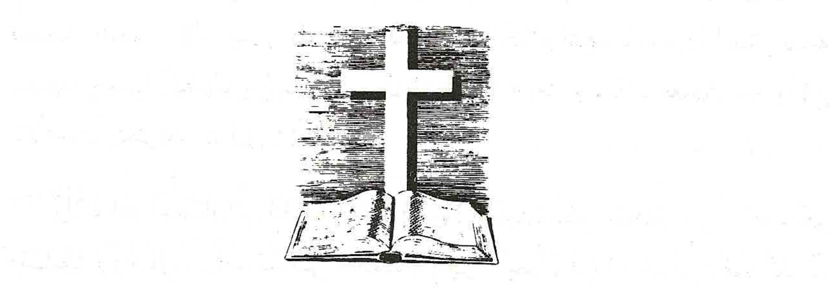
فالإرادة الجديدة تكون مولودة فعلاً وموجودة فينا فعلاً بالميلاد الجديد، ولكنها تحتاج لقوة محركة ونور يرشدها وحق يقودها و يدربها و يشجعها.

هنا يأتى دور الإنجيل كوسيط هام جداً وأساسي جداً ليضرم فينا الموهبة الممنوحة لنا بالسر. كذلك الفكر الجديد الروحاني المقدس والسلوك الجديد الروحاني، فإنهما يكونان حاضرين فعلاً في صميم كياننا الروحي الجديد الذي نناله بالتناول من الجسد والدم، ولكن يكون الفكر الجديد في حاجة إلى قوة تَنطقُه، قوة

روحانية تفوق عقلنا القديم ومنطقنا المتقهقر المتخاذل الضعيف الذي هو وليد الأهواء والشهوات والضعفات الجسدية.

و يكون السلوك الروحاني الحر بحسب المسيح والروح موجوداً فعلاً في كياننا كنتيجة حتمية للإشتراك في صميم حياة المسيح وجسده ودمه بالتناول، ولكن هذا السلوك يكون في حاجة إلى فعل يحركه و يطلقه بدون قيود و بدون خوف و بدون تعثر، بسبب العادات والخطايا القديمة التي اعتاد عليها السلوك. أما قوة الفكر الجديد، وأما قوة السلوك الجديد، فهي كامنة في الإنجيل، في الكلمة الحية الفعالة.

□□□



أوامر الله في الإنجيل
الحاضَّة على التغيير

□□□

وهكذا يتضح أمامنا أن التغيير في الحياة المسيحية عملية هامة وضع الله أصولها بإحكام دقيق جداً. فالحياة الجديدة بإرادتها وفكرها وسلوكها وُهبت لنا من الله مباشرة بالأسرار، إنما كفعل تغيير مستمر ودائم. وإذ أعطانا الله هذه الحياة الجديدة المجانية، أعطانا إياها ومعها الإنجيل كلمته الحية الفعالة لتكون المصدر الذي نستمد منه باستمرار القدرة على التغيير من إرادة فينا شريرة عاجزة إلى إرادة فينا صالحة مقتدرة، ومن فكر فينا شرير وقاصر إلى فكر فينا روحاني وناطق بمجد الله، ومن سلوك فينا مريض مستعبد لأهواء الجسد إلى سلوك فينا متعفف روحاني شاهد لعمل النعمة. لأن ليس بالمعرفة وحدها التي بالكلام نشهد لله، وإنما العمل نفسه يشهد فينا كقول بولس الرسول لتيطس: «يعترفون بأنهم يعرفون الله ولكن بالأعمال ينكرونه.» (تى ١: ١٦)

ولأن الله أعطانا بالفعل هذه الحياة الجديدة بكل مقوماتها من إرادة وفكر وسلوك روحاني، وهو ضامن فعالية إنجيله أيضاً، أي أنه ضامن القوة الفعالة الروحية الكائنة في الوصية وقدرتها على إمداد الإنسان بالقوة على التغيير أولاً بأول؛ لذلك جعل التغيير في صورة أمر إلهي. لذلك نسمع صوت الله في الإنجيل **يطالبنا بالتغيير كأمر صادر للتنفيذ المباشر بدون أعذار أو تباطؤ.**

ولنستمع إلى أوامر الله الحاضّة على التغيير بكل حزم وتأكيد هكذا:

رسالة رومية:

ـ «**تغيروا** عن شكلكم بتجديد أذهانكم، **لتختبروا ما هي إرادة الله الصالحة المرضية الكاملة**» (١٢: ٢) (غاية التغيير هي الحصول على الإرادة الإلهية الصالحة وتذوُّق كمال الله!!)

ـ «إحسبوا أنفسكم أمواتاً عن الخطية ولكن أحياءً لله بالمسيح يسوع ربنا» (٦: ١١) (هنا التغيير من الموت إلى الحياة مطلوب أن يكون حالة ذهنية منتهية يتذكرها الإنسان كل يوم.)

ـ «لا تقدموا أعضاءكم آلات إثم للخطية بل قدموا ذواتكم لله كأحياء من الأموات (التغيير من الموت إلى الحياة كل يوم)، وأعضاءكم آلات برٍّ لله (التغيير بالإرادة من الخطية إلى البر كأمر، والسر في ذلك هو:) لأن الخطية لن تسودكم لأنكم لستم تحت الناموس بل تحت النعمة.» (٦: ١٣و١٤) هنا يشرح بولس الرسول إمكانية التغيير بل ضرورته وحتميته بسبب أخذنا النعمة **فينا** بدل الناموس الذي كان **علينا**.

ـ «أنتم عبيد للذي تطيعونه إما تطيعون الخطية للموت أو تطيعون النعمة للبر» (٦: ١٦) (والطاعة هنا إرادة)

ـ «شكراً لله لأنكم كنتم عبيداً للخطية ولكنكم **أطعتم من القلب** (الإخلاص الشديد) صورة التعليم التي تسلمتموها» (٦: ١٧) (أي **الإنجيل** والتقليد الأبوي الشفاهي للشرح ـ هنا الإنجيل ظاهرٌ أنه **قوة للتحرر**.)

ـ «**أطلب إليكم** أيها الإخوة برأفة الله (قوة رحمته المذخرة في الإنجيل، هذا أيضاً سر أن الوصية أمر) أن تقدموا أجسادكم ذبيحة حية مقدسة مرضية عند الله عبادتكم العقلية.» (١٢: ١)

ـ «لنخلع أعمال الظلمة ونلبس أسلحة النور» (١٣: ١٢) (هنا الخلع واللبس مضمون تصوري كلي أو نهائي لعملية التغيير المستمر.)

ــ «لنسلك بلياقة كما في النهار (النور) لا بالبَطر والسُّكْر لا بالمضاجع والعهر لا بالخصام والحسد» (١٣ : ١٣) (ظلمة... ظلمة... ظلمة.)

ــ «إلبسوا الرب يسوع **ولا تصنعوا تدبيراً للجسد** (خطية) لأجل الشهوات» (١٣ : ١٤) (إحترس من الخطية = فكر، إرادة، سلوك.)

□

رسالة كورنثوس الأولى:

ــ «جِدوا للمواهب الحُسنى» (١٢ : ٣١) (إشعال الإرادة: الأمر هنا يحمل قوة وعدٍ ومؤازرة لأن المستوى المطلوب فوق طاقة الطبيعة.)

ــ «إتبعوا المحبة ولكن جِدُّوا للمواهب الروحية، جِدُّوا للتنبوء» (١٤ : ١) (أوامر معها سر النجاح لمن يطيع.)

□

رسالة كورنثوس الثانية:

ــ «ونحن جميعاً ناظرين (حالة أمر واقع) مجد الرب بوجه مكشوف (بدون بُرقع الناموس) كما في مرآة **نتغير** إلى تلك الصورة عينها من مجد إلى مجد كما من الرب الروح» (٣ : ١٨) (التغير حتى إلى كمال صورة المسيح بقوة الروح.)

ــ «... لا تقبلوا نعمة الله **باطلاً**» (٦ : ١) (أي نبطل الإجتهاد ولا نسلك في التغيير باجتهاد كل يوم.)

ــ «فإذ لنا هذه المواعيد أيها الأحباء (بالإنجيل) **لنطهِّر ذواتنا** (دليل الإرادة الجديدة موجودة، وحالة الطهارة موجودة، مع النعمة) من كل دنس الجسد والروح مكملين القداسة في خوف الله» (٧ : ١).

ــ «ثم أطلب إليكم...، لأننا وإن كنا نسلك في الجسد لسنا حسب الجسد

نحارب، إذ أسلحة محاربتنا ليست جسدية (النعمة والإنجيل) بل قادرة بالله على هدم **حصون** (كشف وفضح عادات وأفكار وسلوك الإنسان العتيق)، هادمين ظنوناً (أفكار عتيقة) وكل عُلُو (كبرياء الشيطان وشكوكه)، يرتفع ضد معرفة الله (بالإنجيل)، ومستأسرين كل فكر (بشري) إلى طاعة المسيح (بالإنجيل)» (١٠: ٣ــ ٥).

□

رسالة غلاطية:

ــ «لأن كلكم الذين اعتمدتم للمسيح قد لبستم المسيح» (٣: ٢٧) (كما يلبس الموتُ الحياة، التغيير جوهري بالمعمودية، أمر الثبوت حق قائم فينا.)

ــ «فاثبتوا إذن في الحرية التي قد حررنا المسيح بها ولا ترتبكوا أيضاً بنير عبودية» (٥: ١) (أيُّ ارتباط بدون المسيح هو نير عبودية.)

ــ «**اسلكوا بالروح ولا تكملوا شهوة الجسد**» (٥: ١٦) (بالروح القدس: أي أن الشهوة موجودة فينا ولكن لا نطيعها. هنا السلوك بالروح أمر إلهي وعدم تكميل شهوة الجسد أمر إلهي)... «إذا **انقدتم بالروح** فلستم تحت الناموس (شرط الحرية الوحيد)، وأعمال الجسد ظاهرة، التي هي: زنا عهارة نجاسة دعارة عبادة أوثان سحر عداوة خصام غيرة سخط تحزب شقاق بدعة حسد قتل سكر بطر... (أعمال الجسد لا سلطان لها علينا ولكن نحن نسلطها على أنفسنا بالخضوع)، ولكن الذين هم للمسيح (الذين اعتمدوا) قد صلبوا الجسد مع الأهواء والشهوات (حالة قائمة وحق موجود يحتاج إلى عمل.) فإن كنا **نعيش** بالروح (الروح القدس) **فلنسلك** أيضاً بحسب الروح» (٥: ١٨ــ ٢٥) (إذا كنا وُلدنا من الماء والروح، للمسيح؛ إذن يلزم أن نسلك بحسب الروح، بالإنجيل.)

□

رسالة أفسس:

ـ «**ليحل المسيح بالإيمان في قلوبكم** وأنتم متأصلون ومتأسسون في المحبة (حلول المسيح ينتظر بلوغ قامة معينة من المحبة)، حتى تستطيعوا أن تدركوا مع جميع القديسين ما هو العرض والطول والعمق والعلو وتعرفوا محبة المسيح الفائقة المعرفة **لكي تمتلئوا** إلى كل ملء الله!!» (٣: ١٧ ـ ١٩) (هذا هو غاية التغيير وكماله!! إذن هو منهج ثابت حققه القديسون.)

ـ «فأطلب إليكم أنا الأسير في الرب أن تسلكوا كما يحق للدعوة التي دُعيتم إليها» (٤: ١) (الإستجابة للتغيير بحسب الإنجيل.)

ـ «**لا تسلكوا** فيما بعد كما يسلك سائر الأمم أيضاً **ببطل ذهنهم** (تتضح العلاقة بين حالة الذهن والسلوك إذا كان السلوك باطلاً فالذهن مريض. «أنت الذي تدين تفعل تلك الأمور بعينها» (رو٢: ١))، وأما أنتم فلم تتعلموا المسيح هكذا (الإنجيل والتقليد الآبائي الشفهي)، **أن تخلعوا من جهة التصرف السابق الإنسان العتيق** الفاسد بحسب شهوات الغرور وتتجددوا بروح ذهنكم (على نور كلمة المعرفة بالإنجيل، الواسطة هي الإنجيل)، وتلبسوا الإنسان الجديد المخلوق بحسب الله **في البر وقداسة الحق**» (٤: ١٧ ـ ٢٤) (مؤهلات الإنسان الجديد ـ إشارة مباشرة للمعمودية.)

ـ «**فكونوا متمثلين بالله** (التمثل بالله: المحبة؛ حينما تشعر أنك بدأت تحب الآخرين بدون مقابل بل وبمقابل سلبي، إعلم أن المحبة الإلهية بدأت تنسكب فيك) **كأولاد أحباء** (الأولاد يشبهون أباهم) **واسلكوا في المحبة** كما أحبنا المسيح أيضاً وأسلم نفسه لأجلنا» (٥: ١) («كل من يحب الوالد يحب المولود منه أيضاً» (١يو٥: ١))

ـ «وأما الزنا وكل نجاسة أو طمع فلا يُسَمَّ (أي لا يُذكر) بينكم **كما يليق بقديسين**... لأنه بسبب هذه الأمور يأتي غضب الله على أبناء المعصية. فلا تكونوا

شركاءهم (الخروج عن منهج القداسة خطر جداً)، لأنكم كنتم **قبلاً ظلمة وأما الآن فنور في الرب**» (٥: ٣، ٦ـــ٨) (تغيير كلي.)

ــ «**اسلكوا كأولاد نور**... مختبرين ما هو مرضي عند الرب» (٥: ٨و١٠) (كل تغيير ينتج إختبار ما هو مرضي عند الرب.)

ــ «لذلك يقول استيقظ أيها النائم **وقم من الأموات** فيضيء لك المسيح» (٥: ١٤) (عبور من الموت إلى القيامة.)

ــ «لا تكونوا **أغبياء** (ملذات الجسد، الغباء الروحي)، بل فاهمين ما هي مشيئة الرب» (٥: ١٧) (الدعوة للتغيير السريع من الغباء الجسدي إلى الفهم لروحي.)

ــ «امتلئوا بالروح! **مكلمين** بعضكم بعضاً بمزامير وتسابيح وأغاني روحية، مترنمين ومرتلين **في قلوبكم للرب، شاكرين كل حين على كل شيء في آسم ربنا يسوع المسيح لله والآب** (علامة مسجلة، علامة الملء) **خاضعين بعضكم لبعض في خوف الله!!**» (٥: ١٨ـــ٢١) (الإنسان الروحي يخضع بسهولة لكل ترتيب لأن ليس له ذات.)

ــ «أخيراً يا إخوتي **تقووا في الرب وفي شدة قوته!!** البسوا سلاح الله الكامل» (٦: ١٠و١١) (الإيمان والرجاء، أي الشهادة: أسلحة داخلية ــ مصدر القوة قائم فينا وليس خارجنا.)

□

رسالة فيلبي:

ــ «عيشوا كما يحق لإنجيل المسيح» (١: ٢٧) (دستور ومنهج ــ إما إنجيل أو لا إنجيل، الله لا يتجزأ.)

ــ «فليكن فيكم هذا الفكر الذي في المسيح» (٢: ٥) (درجات النزول هي

سر المجد والرفعة ــ إما صليب أو حرب.)

ــ «**تمموا خلاصكم بخوف ورعدة**، لأن الله هو العامل فيكم (بالسر وبالإنجيل) أنْ تريدوا (الإرادة)، وأنْ تعملوا (السلوك)، من أجل المسرة» (٢: ١٢و١٣) (أي بفرح، الخسارة مريعة والربح هائل.)

ــ «اثبتوا هكذا في الرب! ... افرحوا في الرب كل حين وأقول أيضاً افرحوا» (٤: ١و٤) (أمر قائم على حق وعلى حقيقة لا تحتاج إلا إلى البدء والتنفيذ الفوري مع الإستمرار.)

ــ **في هذه افتكروا** ... «كل ما هو حق، كل ما هو جليل، كل ما هو عادل، كل ما هو طاهر، كل ما هو مُسرٌّ، كل ما صيته حسن، إن كانت فضيلة وإن كان مدح» (٤: ٨) (حدود الفكر الجديد في المسيح.)

□

رسالة كولوسي:

ــ «**لتسلكوا كما يحق للرب في كل رضى**، مثمرين في كل **عمل صالح**، **ونامين في معرفة الله، متقوِّين بكل قوة بحسب قدرة مجده لكل صبر وطول أناة بفرح** شاكرين الآب الذي **أهّلنا لشركة ميراث القديسين في النور**، الذي **أنقذنا** من سلطان الظلمة ونقلنا إلى ملكوت آبن محبته» (١: ١٠ــ١٣) (التغير هنا عجيب، فهو عملية نقل كمن يمسك إنساناً و يعبر به هوة!!)

ــ «وأنتم الذين كنتم قبلاً **أجنبيين وأعداءً في الفكر، في الأعمال الشريرة**، قد صالحكم الآن في جسم بشريته بالموت (في المعمودية) **ليحضركم** قديسين و بلا لوم ولا شكوى أمامه (أكمل بالموت كل جزاء يمكن أن يُشتكى به علينا من الشيطان)، **إن ثبتُّم على الإيمان متأسسين وراسخين وغير منتقلين عن رجاء الإنجيل**» (١: ٢١ــ٢٣) (**الإنجيل... الإنجيل.**)

ـ «كما قبلتم المسيح يسوع الرب **اسلكوا فيه** (السلوك ليس فردياً، ولا شخصياً، إنه نمطي، إنجيلي، مثل جميع القديسين، في اللحظة التي نقبل فيها المسيح مخلصاً وفادياً وملكاً تبدأ قوة السلوك كهبة)، **متأصلين، ومبنيين فيه!!**» (٢: ٦و٧) (أساس ثم بناء.)

ـ «فإنه فيه يحل كل ملء اللاهوت جسدياً **وأنتم مملوؤون فيه**... و به أيضاً خُتنتم ختاناً غير مصنوع بيد (المعمودية) **بخلع جسم خطايا البشرية، بختان المسيح، مدفونين معه** في المعمودية التي فيها **أُقمتم** أيضاً معه بإيمان عمل الله الذي أقامه من الأموات.» (٢: ٩ـ ١٢) (المسيح مات ودُفن فدفع ثمن وجزاء عار الخطية وقام من الأموات. المسيح بالموت والقيامة خلَعَ جسم خطايا البشرية عنّا وأعطانا جسم مجده. في المعمودية نُدفن معه ونقوم معه فنخلع به جسم خطايا بشريتنا. و بالمعمودية نلبس المسيح حتى إلى الملء الكامل!!)

ـ «قد مُتُّم (عن الخطية والجسد والعالم) وحياتكم (القيامة) مستترة مع المسيح في الله!!» (عمل الله في السر بواسطة المسيح.) إذن: «**أميتوا أعضاءكم** التي على الأرض: الزنا، النجاسة، الهوى، الشهوة الردية، الطمع... الأمور التي من أجلها يأتي غضب الله على أبناء المعصية» (٣: ٥و٦) (هنا الأمر صادر من الله ليس لفكرنا فقط بل لأعضائنا أيضاً.)

ـ «إذ خلعتم الإنسان العتيق **مع أعماله** (بدفن المعمودية مع المسيح) ولبستم الجديد (بالقيامة) الذي يتجدد للمعرفة (بالإنجيل) حسب صورة خالقه» (٣: ٩).

ـ إذن: «**البسوا كمختاري الله** القديسين المحبوبين أحشاء رأفات ولطفاً وتواضعاً و وداعة وطول أناة» (٣: ١٢) (طباع أبناء الله.)

ـ إذن: «**البسوا المحبة** التي هي رباط الكمال» (٣: ١٤) (طبيعة الله، تأهيل الميراث والإتحاد.)

ـ إذن: «لتسكن فيكم كلمة المسيح بغنى» (٣: ١٦) (الإنجيل يتحوّل إلى

رأسمال الحياة الأبدية، الغنيُّ في الكلمة غنيٌّ في المسيح!!)

ــ «واظبوا على الصلاة ساهرين فيها بالشكر» (٤ : ٢) (عمل الإنسان الجديد في غُربة هذا العالم.)

□

رسالة تسالونيكي الأولى:

ــ «نطلب إليكم **في الرب يسوع** (علة الأمر أن المسيح ضامن موضوع الأمر) أنكم كما تسلمتم منا كيف يجب أن تسلكوا وترضوا الله تزدادون أكثر» (٤ : ١) (هنا الإنجيل والتقليد منهج للسلوك فعّال ومضمون.)

ــ «لأن هذه هي إرادة الله قداستكم» (٤ : ٣) (أي أن السلوك العملي بالقداسة هذا هو عينه إرادة الله ــ وهو غاية الإرادة المجدَّدة.)

ــ «وأطلب إليكم أيها الإخوة **أن تزدادوا أكثر**» (٤ : ١٠) (التغيير والنمو بلا حدود!!)

ــ «**افرحوا** كل حين، **صلُّوا** بلا انقطاع، **اشكروا** في كل شيء. لأن هذه هي مشيئة الله **في المسيح يسوع** (يستحيل بدونه) من جهتكم.» (٥ : ١٦ــ١٨)

ــ «امتنعوا عن كل شبه شر» (٥ : ٢٢) (لا استهانة بالخطية أبداً، فهي تبدأ كحركة صغيرة جداً.)

ــ «وإله السلام نفسه **يقدسكم بالتمام** (تكميل القداسة عمل خاص جداً بالله ــ القداسة تبدأ منا وتكمل بالله)، ولتُحفظْ **روحكم ونفسكم وجسدكم كاملة بلا لوم** عند مجيء ربنا يسوع المسيح» (٥ : ٢٣) (الكمال عمل فائق من الله)، «أمين هو الذي يدعوكم الذي سيفعل أيضاً» (أي أن هذا ليس دعوة منا ولا تشجيعاً من عندنا، ولكن هذه هي دعوة الله أصلاً، وهو أمين، وهو حتماً سيفعل بحسب ما يدعو!!)

□

رسالة تسالونيكي الثانية:

ـ «**إن الله اختاركم من البدء للخلاص، بتقديس الروح، وتصديق الحق**، الأمر الذي **دعاكم إليه بإنجيلنا** لاقتناء مجد ربنا يسوع المسيح» (٢: ١٣و١٤) (الكمال الأعظم هو نعمة التغيير، لاحِظ هنا أن اختيار الخلاص هو عمل مجاني من قِبَل الله، و يتم بتقديس الروح بالأسرار من جهة الله، و يتم بتصديق الحق بواسطة الإنجيل من جهتنا!! وذلك ينتهي إلى كمال المجد.)

ـ «**فاثبتوا** إذن أيها الإخوة **وتمسكوا بالتعاليم** (أو التقليدات) التي تعلمتموها سواء كان **بالكلام أم برسالتنا**» (٢: ١٥) (التقليد والإنجيل.)

ـ «وربنا نفسه يسوع المسيح، والله أبونا، الذي أحبنا **وأعطانا عزاءً أبدياً ورجاءً صالحاً بالنعمة يعزي قلوبكم** (للإجتهاد والمثابرة)، **ويثبتكم** (بعمله الخفي بنعمته) **في كل كلام** (الإنجيل) **وعمل صالح**.» (٢: ١٦و١٧)

ـ «أمين هو الرب الذي سيثبتكم ويحفظكم من الشرير» (٣: ٣) (الأعمال الفائقة والهامة يتولاها الله بنفسه، فهو الذي يتولى التثبيت والحفظ من الشيطان.)

ـ «**الرب (الروح القدس) يهدي قلوبكم إلى محبة الله وإلى صبر المسيح**» (٣: ٥) (عمل الروح الخفي للتكميل حتى الكمال.)

□

الرسالة الأولى إلى تيموثاوس:

ـ «**وأما أنت يا إنسان الله فاهرب** من هذا **واتبع** البر والتقوى والإيمان والمحبة والصبر والوداعة» (٦: ١١) (جهاد سلبي وإيجابي.)

ـ «جاهد جهاد الإيمان الحسن» (٦: ١٢) جهاد إيجابي، عمل، سلوك، قدوة.)

ـ «أمسك بالحياة الأبدية التي إليها دُعيت أيضاً» (٦: ١٢) (تصوير الحياة

الأبدية كشخص نُمسك به فلا نسقط.)

□

الرسالة الثانية إلى تيموثاوس:

ـــ «أُذكِّرك أن تضرم موهبة الله الذي فيك بوضع يديَّ.» (١:٦)

ـــ «لأن الله لم يُعطنا روح الفشل بل روح القوة والمحبة والنُصح» (١:٧) (إحذر! فكل روح فشل ليس من الله هو صوت الشيطان.)

ـــ «لا تخجل بشهادة ربنا (عدم اكتمال الحب الإلهي)... إشترك في احتمال المشقات لأجل الإنجيل بحسب **قوة الله**» (١:٨) (**قوة الله** مصدر عزاء واحتمال في المشقات.)

□

رسالة تيطس:

ـــ «مقدماً نفسك في كل شيء **قدوة بالأعمال الحسنة، ومقدِّماً في التعليم نقاوة ووقاراً وإخلاصاً (منهج) وكلاماً** صحيحاً غير ملوم... لأنه قد ظهرت نعمة الله المخلِّصة لجميع الناس، معلِّمة إيانا (بالروح في الضمير، و بالإنجيل) أن ننكر الفجور والشهوات العالمية ونعيش بالتعقل والبر والتقوى في العالم الحاضر؛ منتظرين الرجاء المبارك وظهور مجد الله العظيم ومخلصنا يسوع المسيح» (٢:٧و٨و١١ـــ١٣) (إنكار الشيء هو إلغاء وجوده من العقل والفكر والسلوك.)

□

الرسالة إلى العبرانيين:

ـــ «وإله السلام الذي أقام من الأموات راعي الخراف العظيم ربنا يسوع بدم العهد الأبدي **ليكملكم في كل عمل صالح لتصنعوا مشيئته، عاملاً فيكم ما**

يرضي أمامه بيسوع المسيح» (١٣: ٢٠و٢١) (نحن لا نعمل وحدنا أبداً.)

□

رسالة يعقوب:

ـ «شاء فولدنا بكلمة الحق لكي نكون باكورةً من خلائقه» (١: ١٨) (الميلاد الجديد خلقة من الله.)

ـ «إقبلوا، بوداعةٍ، **الكلمة المغروسة القادرة أن تخلّص نفوسكم**» (١: ٢١) (الإنجيل وسيط جيد قوي للخلاص كبذرة تُغرس في أرض القلب.)

ـ «لكن كونوا عاملين بالكلمة لا سامعين فقط خادعين نفوسكم» (١: ٢٢) (بدون أعمال يتعطل الإنجيل.)

ـ «من اطّلع على **الناموس الكامل**، ناموس **الحرية** (الإنجيل) **وثبت** وصار ليس سامعاً ناسياً بل **عاملاً بالكلمة**، فهذا **يكون مغبوطاً** (سعيداً وناجحاً) **في عمله**» (١: ٢٥) (قوة تأثير الكلمة على نجاح العمل، فالكلمة **تكمّل وتحرّر.**)

ـ «الإيمان إن لم يكن له أعمال ميت في ذاته... إن الإيمان عَمِل مع أعمال إبراهيم **وبالأعمال أُكمل الإيمان.**» (٢: ١٧و٢٢)

ـ «**قاوموا** إبليس فيهرب منكم، **اقتربوا** إلى الله يقترب إليكم» (٤: ٧و٨) (الجهاد السلبي والإيجابي، مقاومة واقتراب مستمران.)

□

رسالة بطرس الرسول الأولى:

ـ «أطلب إليكم **كغرباء ونزلاء** أن تمتنعوا عن الشهوات الجسدية التي تحارب النفس» (٢: ١١) (الغريب والمسافر ليس له أدنى مسرة في الإنهماك في الملذات، حتى الأكل، الإمتناع عن الشهوات هنا قائم على أساس حصول انفصال تام بين حياتنا الجسدية «العالم» وحياتنا الروحية «المسيح».)

ـ «من تألَّم في الجسد كُفَّ عن الخطية.» (٤ : ١)

ـ «فإذ قد تألم المسيح لأجلنا بالجسد تسلحوا أنتم أيضاً بهذه النية» (٤ : ١) (الإشتراك في آلام المسيح يوقف سلطان الخطية.)

ـ «بعدما تألمتم يسيراً (جهاد الإيمان الحسن) هو يكمّلكم و يثبتكم و يقو يكم ويمكّنُكُمْ» (٥ : ١٠)

□

رسالة بطرس الرسول الثانية:

ـ «هاربين من الفساد الذي في العالم بالشهوة... وأنتم باذلون كل اجتهاد، قدّموا في إيمانكم فضيلة (عمل)، وفي الفضيلة معرفة (بحسب الإنجيل)، وفي المعرفة تعففاً (عدم طموح)، وفي التعفف صبراً (بسبب التضييق على النفس)، وفي الصبر تقوى (عبادة)، وفي التقوى مودة أخوية، وفي المودة الأخوية محبة (كاملة للجميع.)» (١ : ٤ـ٧)

ـ «لأن هذه إذا كانت فيكم وكثرت (باستمرار) تصيِّركم لا متكاسلين ولا غير مثمرين لمعرفة ربنا يسوع المسيح.» (١ : ٨)

ـ «لأن **الذي ليس عنده هذه** (الإجتهاد المستمر بالمعرفة والسلوك) هو أعمى (عديم انفتاح البصيرة الروحانية قصير البصر لا يَرَى إلا ما يُرى)، **قد نسي تطهير خطاياه السالفة.**» (١ : ٩)

ـ لذلك: «اجتهدوا أيها الإخوة أن تجعلوا دعوتكم واختياركم ثابتين، لأنكم إذا فعلتم ذلك **لن تزلُّوا أبداً**» (١ : ١٠) (أي إذا تمسكنا بالدعوة حسب الإنجيل وآمنّا بالإختيار في المسيح بثبات، هذا ضمان إلهي!!)

ـ «لأنه هكذا (أي بهذا المنهج الإنجيلي ثبوت الدعوة والإختيار) يُقَدَّم لكم بسعةٍ (أي بدون جهد مساوي للثمرة) دخولٌ إلى ملكوت ربنا ومخلصنا يسوع المسيح

الأبدي.» (١: ١١)

ــ «فبما أن هذه كلها تنحلُّ، أيَّ أناس يجب أن تكونوا أنتم في سيرة مقدسة وتقوى؟ منتظرين وطالبين سرعة مجيء الرب.» (٣: ١١و١٢)

ــ «لذلك إذ أنتم منتظرون هذه (سرعة مجيء الرب) **اجتهدوا** لتوجَدوا عنده بلا دنس ولا عيب في سلام، واحسبوا أناة ربنا (تباطؤ مجيئه لتكميل رسالة الخلاص للعالم) خلاصاً.» (٣: ١٤و١٥)

ــ «إنموا في النعمة، وفي معرفة ربنا ومخلصنا يسوع المسيح!!» (٣: ١٨)

□

رسالة يوحنا الرسول الأولى:

ــ «لا تحبوا العالم ولا الأشياء التي في العالم، إن أحب أحد العالم فليست فيه محبة الآب» (٢: ١٥) (هنا الأمر بالتخلي عن الحنين للعالم ومن فيه وما فيه قائم على أساس غِنى وعظمة محبة الله الآب التي تكفي وتُشبع وتروي كل عواطف وملكات الإنسان. الأمر هنا قائم على أساس الإنتقال والتغيير الذي تمَّ فينا من حياة حسب الجسد إلى حياة حسب الروح.)

ــ «والآن أيها الأولاد اثبتوا فيه، حتى إذا أُظهر يكون لنا ثقة ولا نخجل منه» (٢: ٢٨) («ناظرين مجد الرب بوجه مكشوف كما في مرآة» (٢كو٣: ١٨) هنا التركيز الرؤيوي شديد لنيل قوة الإنجيل والمسيح. «إذا سهرنا أو نمنا، نحيا جميعاً معه» (١تس ٥: ١٠) هنا أيضاً التركيز في العِشرة بالتصاق شديد.)

ــ **«كل من يثبت فيه لا يخطىء»** (٣: ٦)!!!

ــ «إن أحب بعضنا بعضاً فالله يثبت فينا، **ومحبته تكون قد تكملت فينا**» (٤: ١٢) (الكمال: بلوغ الكمال هو هو بلوغ الثبات. وهذا لا يمكن أن يتأتى إلا بالمحبة للجميع.)

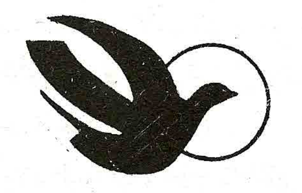
ـ «الله محبة ومن يثبت في المحبة يثبت في الله، والله فيه» (٤: ١٦)!!

ـ «بهذا نعرف أننا نثبت فيه وهو فينا أنه قد أعطانا من روحه» (٤: ١٣)!!

ـ «إذا أُظهر نكون مثله لأننا سنراه كما هو. وكل من عنده هذا الرجاء به يطهر نفسه كما هو طاهر» (٣: ٢و٣) (الرجاء قوة تطهير وتغيير مستمر.)

● آية خطيرة تُظهر أن اختفاء الحق الإلهي نحن مسئولون عنه بإرادتنا لأننا لم نسعَ لنجعل الإرادة الجديدة تنفتح بالمعرفة بالكلمة لكي تدخل في النور وفي السلوك الحق: «لأن هذا يخفى عليهم بإرادتهم» (٢بط ٣: ٥)!!!

□



طريقة استيعاب كلمة الله

لإحداث التغيير

□□□

لأول وهلة حينما نقرأ هذه الوصايا ونواجه مطالبها الضخمة: «تغيروا عن شكلكم»، «إخلعوا الإنسان العتيق»، «إلبسوا الإنسان الجديد»، «أميتوا أعضاءكم التي على الأرض»... في كلمات قليلة، دون شرح أو توضيح الوسيلة، نقف حيارى.

ولكن حينما نسترجع النماذج التي استطاعت أن تنفذ هذه الوصايا وتنال بالكامل كل مطاليبها نجدهم عشرات الألوف بل وعشرات الملايين في كل جيل وعلى مدى الأجيال حتى هذه الساعة. ثم حينما نعود ونفحص هذه الأمثلة التي نجحت بالفعل في تطبيق الإنجيل ونالت التغيير والملء وسارت في الحياة الجديدة وبلغت النهاية، نجدها عيّنات من البشرية على غير ذي نمط واحد، بل من كل قامة. منهم من كانوا أسوأ النماذج البشرية في السلوك، ومنهم من كانوا على أضعف المستويات سواء الإرادية أو العلمية أو الجسدية؛ ومنه نتبين أن سر النجاح لا يقوم قط على عناصر بشرية معينة أو إمكانيات شخصية فريدة.

إذن، فالسر قائم حتماً في الوصية ذاتها، قائم في الكلمة الإلهية الحية الفعالة في الإنجيل الذي يحوي قوة خلاصنا بالفعل وعلى كل المستويات، حيث لا يكون على النفس إلا قبول هذا الخلاص والإستجابة لمتطلباته بالإرادة ثم بالجهد.

كيفية الإلتحام بقوة الكلمة الحية الفعالة:

هنا يبرز أمامنا عاملان أساسيان:
الأول: التركيز المستمر على الوصية،
والثاني: إلقاء كل الرجاء على نعمة الله المؤازرة للكلمة.

العامل الأول: التركيز المستمر على الوصية،
أي كلمة الله في الإنجيل:

هنا القراءة تحتاج أن تكون **بتأمل كثير، وعميق، وبتكرار مستمر، مع صبر، وذهن خاضع، مفتوح، وسهر.**

هذه المواصفات هامة جداً لكي تكون القراءة ذات اتصال سري بقوة الوصية لتأتى بثمارها.

وإذا تذكرنا وصف المسيح نفسه لعملية دخول كلمة الله في قلب الإنسان، لانتبهنا بشدة إلى العوامل التي أوضحها المسيح لتبلغ الكلمة فعاليتها. فالمسيح وصف كلمة الله بأنها بذرة يلقيها الله داخل قلب الإنسان؛ إلى هنا ينتهي دور الله تماماً كما ينتهي دور الزارع الذي ألقى بذاره في الأرض، و بعد ذلك يبتدىء دور الإنسان في الإحتفاظ بالبذرة داخل قلبه، حتى لا يخطفها الشيطان بشهوات الغرور والأفكار الباطلة، و يبتدىء أيضاً دور الإنسان في عملية إنماء الكلمة إذا كانت تربة قلبه طيبة، أي صالحة لنمو مشورات الله ووصاياه، كالتربة الخصبة الجيدة التي تستجيب لجهد الزارع.

هذا الوصف من قِبَل المسيح يوضح أهمية دور الإنسان في قبول كلمة الحياة، والتمسك بها، وحفظها بإتقان داخل قلبه، والسهر عليها، حتى تتحول الكلمة إلى

عمل وسلوك.

وأمامنا بعض آيات تكشف لنا سر قوة التركيز على كلمة الإنجيل لبلوغ التغيير الكامل المطلوب في عمق الطبيعة البشرية:

١ ـ «وأما أنت **فاثبتْ على ما تعلمتَ** وأيقنتَ، عارفاً ممن تعلمتَ، وأنك منذ الطفولية تعرف **الكتب المقدسة القادرة أن تُحكّمك للخلاص** بالإيمان الذي في المسيح يسوع.» (٢تى٣: ١٤و١٥)

لاحظ هنا مقدار التأكيد الذي يضعه القديس بولس الرسول على أهمية **الثبوت على «ما تعلمتَ»**، لأنه بمقدار ما يثبت الإنسان على الحق الذي تعلّمه وهو يتأمل ويهذُّ فيه الليل والنهار، فإنه يتحول إلى ممارسة وحياة بقوة الله. ثم لاحظ تأكيد بولس الرسول على أن الكتب المقدسة قادرة، أي لها القوة والسلطان على طبيعة الإنسان ـ لأنها كلمة الله الحية والفعالة في الخليقة ـ لكي تغيره وتضبطه وتُحكّمه حتى يبلغ إلى الخلاص.

٢ ـ «**اقبلوا بوداعةٍ الكلمة المغروسة القادرة** أن تخلّص نفوسكم.» (يع ١: ٢١)

هنا أيضاً يعقوب الرسول ينبهنا بشدة إلى الباب المفتوح في وجهنا المهيَّأ لدخولنا للخلاص، وهو «الكلمة». وهنا يأمرنا يعقوب الرسول أن **نقبلها بوداعة**، أي بدون تعالٍ أو محاجاة أو ملاججة. فالوداعة هنا أساسية لكي تدخل كلمة الله داخل قلوبنا وتنغرس في طبيعتنا تماماً كما تنغرس البذرة في الأرض الجيدة.

ولكن لا ينبغي أن يفوت علينا أهمية وصف يعقوب الرسول للكلمة بأنها **«مغروسة»**، هنا عملية التحام مدهشة بين الكلمة الإلهية و بين طبيعتنا يكشف

عنها يعقوب الرسول.

٣ ـ «لكن **كونوا عاملين بالكلمة** لا سامعين فقط **خادعين نفوسكم**.» (يع ١ : ٢٢)

هنا يربط القديس يعقوب الرسول **الكلمة بالعمل الفوري**، فيكشف مرة واحدة و بقوة هدف الكلمة وسلطانها على السلوك. فالكلمة مهيَّأة للعمل في الإرادة والسلوك بغاية السرعة و بغاية القوة لو فتحنا لها الباب. في لحظة واحدة تستطيع كلمة الله أن تزيح جبالاً من الثلوج والقاذورات من على ضمائرنا بل ومن داخل أمخاخ عظامنا، حتى إلى مفارق النفس العميقة التي لا يبلغها دواء ولا طبيب!! تستطيع كلمة الله أن توقظ الإرادة الجديدة النائمة وتلهب الضمير بالشجاعة والقداسة والطهارة وتفك رُبُط النفس والجسد من أقسى العادات تسلطاً. هذا كله رهن انفتاح الوعي الإنساني لكلمة الله في الحال، وتمليكها على عرش القلب بإخلاص وأمانة وثقة، بإيمان لا يتزعزع وعقل عنيد يرفض الشك بقوة.

ثم يحذرنا يعقوب الرسول من الخداع الذي نسقط فيه بإرادتنا حينما نسمع الكلمة وتبتدىء قوة الكلمة تدق على باب الضمير ولكننا نؤجل الإستجابة ونتهرب من التنفيذ المباشر فتتوقف الكلمة عن الفعل وتبقى مخزونة في العقل فقط، نخدع أنفسنا بوجودها بل وربما نخدع الآخرين أيضاً!!

٤ ـ «من اطَّلع على الناموس **الكامل**، ناموس **الحرية**، **وثبت**، وصار ليس سامعاً ناسياً بل عاملاً بالكلمة؛ فهذا يكون **مغبوطاً في عمله**.» (يع ١ : ٢٥)

هنا مرة أخرى يشير يعقوب الرسول إلى الإنجيل أنه الناموس الكامل، أي القانون الذي إذا خضع له الإنسان بلغ النهاية والقصد والكمال. ثم سمَّاه ناموس الحرية أيضاً باعتبار أن قوة الكلمة والوصية قادرة أن تحرر الإنسان من العبودية،

العبودية بكل أشكالها، العبودية من الخوف من الموت، من الضعف بسبب الخطية، العبودية للناس بسبب الشعور بعدم الكفاية أو لأطماع أو مكاسب مادية أو مجد دنيوي.

هنا يعقوب الرسول يؤكد أن الإنجيل هو قانون الحرية، القادر بالقوة الخفية التي فيه أن يحرر الإنسان المستعبد لأي شيء.
ولكن القديس يعقوب يشترط شرطاً أساسياً أن ليس بمجرد أن «يطّلع» الإنسان على هذا الناموس يصير كاملاً أو حراً، بل يتحتم الإرتباط الداخلي بهذا القانون الذي عبّر عنه «**بالثبوت**»؛ فإذا ثبت الإنسان على ما اطّلع عليه أو ما انكشف له من هذا الناموس فإنه يبلغ قوة الكمال والحرية التي فيه التي يمنحها لكل من يثبت فيه.

ومرة أخرى ينبه القديس يعقوب ذهننا إلى أن الأمر يحتاج إلى **تطبيق عملي سريع، أو استجابة** فورية لما تمليه الكلمة على الضمير، وحينئذ تتم المعجزة، أي يصير «**مغبوطاً في عمله**»، بمعنى أنه يشعر في الحال بسعادة فائقة عندما يجني ثمرة تعبه ويكتشف أن قوة الإنجيل دخلت كيانه وصارت فيه هي الفعّالة والموجِّهة.

٥ ــ ومن هنا ينتهي يعقوب الرسول إلى نتيجة في منتهى الإحكام والحساسية، وهي أن «الإيمان بدون أعمال ميت» (يع ٢: ٢٠). هنا فقط نفهم قصد يعقوب الرسول العميق من هذه الآية، إذ بناءً على ما تقدم يتضح أن «العمل» أصبح برهاناً أكيداً أن الإنسان أخذ الإنجيل بل وكل مفردات العقيدة مأخذاً جاداً عملياً ولم يكن سامعاً للكلمة فقط خادعاً نفسه والآخرين بل حقق ما سمعه وتلقنه من الإنجيل والعقيدة تحقيقاً عملياً بالسلوك، وبذلك يثبت له وللآخرين أنه صار مؤمناً حقاً.

٦ ــ «شكراً لله أنكم كنتم عبيداً للخطية ولكنكم أطعتم من القلب صورة التعليم التي تسلمتموها (أي الإنجيل).» (رو٦: ١٧)

هنا يوضح بولس الرسول بغاية الدقة مصدر الحرية والإنعتاق من سلطان الخطية، ويحدده بكلمات قاطعة وهو «طاعة من القلب لكلمة الله». والطاعة من القلب تعني التصديق والإستجابة الفورية. هذا في الحقيقة هو قمة التأكيد على سلطان كلمة الله لفكّ قيود الإرادة والفكر والسلوك من سلطان الخطية.

٧ ــ «أشكر إلهي في كل حين من جهتكم على نعمة الله المعطاة لكم في يسوع المسيح أنكم **في كل شيء استغنيتم فيه في كل كلمة وكل علم كما ثُبِّتت فيكم شهادة المسيح.**» (١ كو١: ٤ــ٦)

هنا بولس الرسول ينبه ذهننا أن الطريق الوحيد للغِنى في المسيح **هو الغنى في الكلمة!** أي الإنجيل، أي بقدر ما نغتني بالكلمة يصير غنانا في المسيح. والغنى **«في الكلمة»** ليس في حفظها وتسميعها بإتقان ولكن باكتساب مواعيدها في حياتنا. فالغَني في كلمة الإنجيل هو من حاز على قوتها واستخدمها في حياته فزادت حياته في المسيح عمقاً.

ثم يشير بولس الرسول إشارة أخرى إلى الصلة بين **مقدار الغنى** في المسيح، الذي سماه «في كل شيء استغنيتم فيه»، وبين مقدار الغنى في الكلمة الذي عبَّر عنه «في كل كلمة **وكل** علم»، أي أنه بقدر ما نأخذ **كل كلمة** في الإنجيل ــ اي **كل وصايا الرب ومعرفة كل أقواله** ــ مأخذاً عملياً في حياتنا، نزداد غنى في المسيح **في كل شيء**، أي في كل ما يخص المسيح نفسه أي من جهة صفاته وأمجاده ومحبته وكل أسراره.

وهذا معناه أننا مطالبون بالتركيز على كل كلمة وكل وصية وكل آية وكل تعليم في الإنجيل، لأن الإرتباط بين هذه الوصايا والآيات والتعاليم هو ارتباط وثيق، والجمع بينها جميعاً يزيد الإنسان نوراً وعمقاً **ويزيد التطبيق سهولة**، ويضفي على السلوك سمات الكمال المسيحي. أي أن الغنى في المسيح رهن العمق والغنى في الإنجيل عملياً بأكمله!!

ويهمنا جداً أن نعلق على هذا المعنى بهذه الحقيقة العظيمة، وهي أن كثرة الإنشغال والعمق والتركيز في الإنجيل كله لا يزيد الإنسان تعباً ولا يشكل على الذهن ثقلاً وإرهاقاً، ولا يصيب السلوك ارتباكاً، كما يتصور الإنسان بحسب المنطق؛ ولكن العكس تماماً أي: **بمزيد من الإنجيل مع مزيد من العمق والدراسة والسهر ثم مزيد من التطبيق والممارسة، تزداد الحياة سهولة ويستنير الذهن أكثر.**

٨ ــ «**لتسكن فيكم كلمة المسيح بغنى.**» (كو٣: ١٦).

هنا تبلغ الكلمة حد المعاشرة، لأن السُكنى في المفهوم الإنجيلي اللاهوتي معناها حلول وتواجد مستمر، فالإنسان يصبح عشير الكلمة الحية. هنا بولس الرسول يسلمنا خبرة إنجيلية على أعلى مستوى، حيث يصبح الإنجيل القوة المشاركة لنا في كل تصرف وكل عمل، ثم هو يرتفع بنا إلى مستوى غنى العشرة الكاملة مع الكلمة الحية. وهذا يفيد التشبع والإكتفاء والإعتماد الكلي على قوة الإنجيل، فلا نعود نشعر أننا فقراء لشيء قط، إذ نكون قد استغنينا بالكلمة كمصدر عطاء في كل موقف مهما كانت الحاجة ومهما كان العوز فيما يخص الأرضيات.

وبولس الرسول يُعلِّم وسبق أن قال إن الغِنى في الكلمة يعني مباشرةً الغِنى في المسيح نفسه وفي كل ما يخص المسيح، والغِنى في المسيح يحرر الإنسان من كل عوز.

من هذا يتبين مقدار قوة التركيز التي يوجهها المسيح والرسل على الكلمة الحية، أي الإنجيل، لتكون لنا مصدر تغيير سلوك وتجديد فكر وعتق من الخطية وحرية في الروح، ولقبول سر الحياة المسيحية الجديدة بكل صلاحيتها، لأن قوة الحياة والروح الموجودة في كلمة الله الحية الفعالة هي بالحقيقة المصدر المباشر لنيل قدرات وإمكانيات جديدة لم تكن فينا ولكنها موهوبة لنا بسر الميلاد الجديد، فهي من حقنا ولكن لا يمكن الحصول عليها بأي وسيلة أخرى.

□

العامل الثاني: النعمة كوسيط مساعد للكلمة:

في الحقيقة لا يزال يوجد هوة بين الكلمة الحية الفعالة و بين عقلنا الرديء الشكاك المتعثر بسبب خبراته المؤلمة. لذلك أصبح من الضروري فعلاً أن يتوسطنا، أي يتوسط بين الكلمة و بين عقلنا، مُصالحٌ وديع مترفق بجهلنا يتجاوز ضيق عقلنا. وهنا تنبري نعمة الله للمساعدة والمصالحة والتفهيم. و يلزم أولاً أن نعرف معنى النعمة. فالنعمة تعني قوة الله المجانية الموهوبة لنا بالروح القدس أو بالمسيح رأساً، ولذلك فالمسيح نفسه نعمة والروح القدس نفسه نعمة حينما يعمل فينا بذاته.

وكاعتراف نقوله، كم مرة وقفنا في خبراتنا أمام كلمة الله حائرين لا نفهم معناها ولا نحس بالقصد الإلهي الموجّه لنا فيها، كم مرة بكينا، وكم مرة أمضينا الوقت صامتين، وفجأة يبرز الصوت الداخلي واضحاً جداً يشرح لنا المعنى و يوجهنا للقصد، وذلك حسب ما يراه الروح والمسيح مناسباً لقامتنا الروحية ومناسباً لموقفنا أو حاجتنا في تلك الساعة!! هنا النعمة تأخذ من غنى الكلمة وتوزع علينا حسب حاجتنا بحكمة وتبسيط غاية في الدقة... كما يقول القديس بولس الرسول كخبير: **«حسب غنى نعمته التي أجزلها لنا بكل حكمة وفطنة، إذ عرَّفنا بسر مشيئته.»**

(أف ١ : ٧ ــ ٩) وهذا طبعاً على أساس ما سبق وأعلنه المسيح من جهة عمل الروح القدس فينا ذهنياً حينما قال : «**يُعرِّفكم كل الحق**» ، «يأخذ مما لي ويخبركم» ، «**يُذكِّركم بكل ما قلته لكم**» ، «أما أنتم فتعرفونه لأنه ماكث معكم و يكون فيكم» (إنجيل يوحنا الأصحاح الرابع عشر).

و يعود القديس بطرس الرسول و يؤكد ذلك أيضاً بجزم مدركاً مقدار المنفعة التي سننالها من وراء **تدخُّل النعمة في فهمنا وقراءتنا وتأملنا الذهني والقلبي في الإنجيل : «لذلك منطقوا أحقاء ذهنكم صاحين ، فألقوا رجاءكم بالتمام على النعمة التي يؤتى بها إليكم (عند) استعلان يسوع المسيح .»** (١ بط ١ : ١٣)

وهنا يتصور بطرس الرسول كيف ينبغي للإنسان المسيحي أن يربط عقله عند بدء القراءة والفهم كما يربط الإنسان وسطه عندما يقوم بأداء عمل هام : «**منطقوا أحقاء ذهنكم**» ، مُفترضاً «**الصحو**» أي الإنتباه الكلي ، عندما يبدأ الإنسان فحص كل الأمور الخاصة باستعلان المسيح ، أي إدراكه ومعرفته ، وهذا يظهر معناه أكثر لو قرأنا الآيات السابقة هكذا :

ــ «**الخلاص الذي فتش وبحث عنه أنبياء** (لاحظ هنا الجهد المبذول من جهة الأنبياء في إدراك أسرار الله من خلال الأسفار المقدسة) الذين تنبأوا عن **النعمة التي لأجلكم** ... الذين أُعلن لهم أنهم ليس لأنفسهم بل لنا كانوا يخدمون **بهذه الأمور التي أُخبرتم بها أنتم الآن بواسطة الذين بشروكم في الروح القدس المرسَل من السماء** التي تشتهي الملائكة أن تطَّلع عليها .» (١ بط ١ : ١٠و١٢)

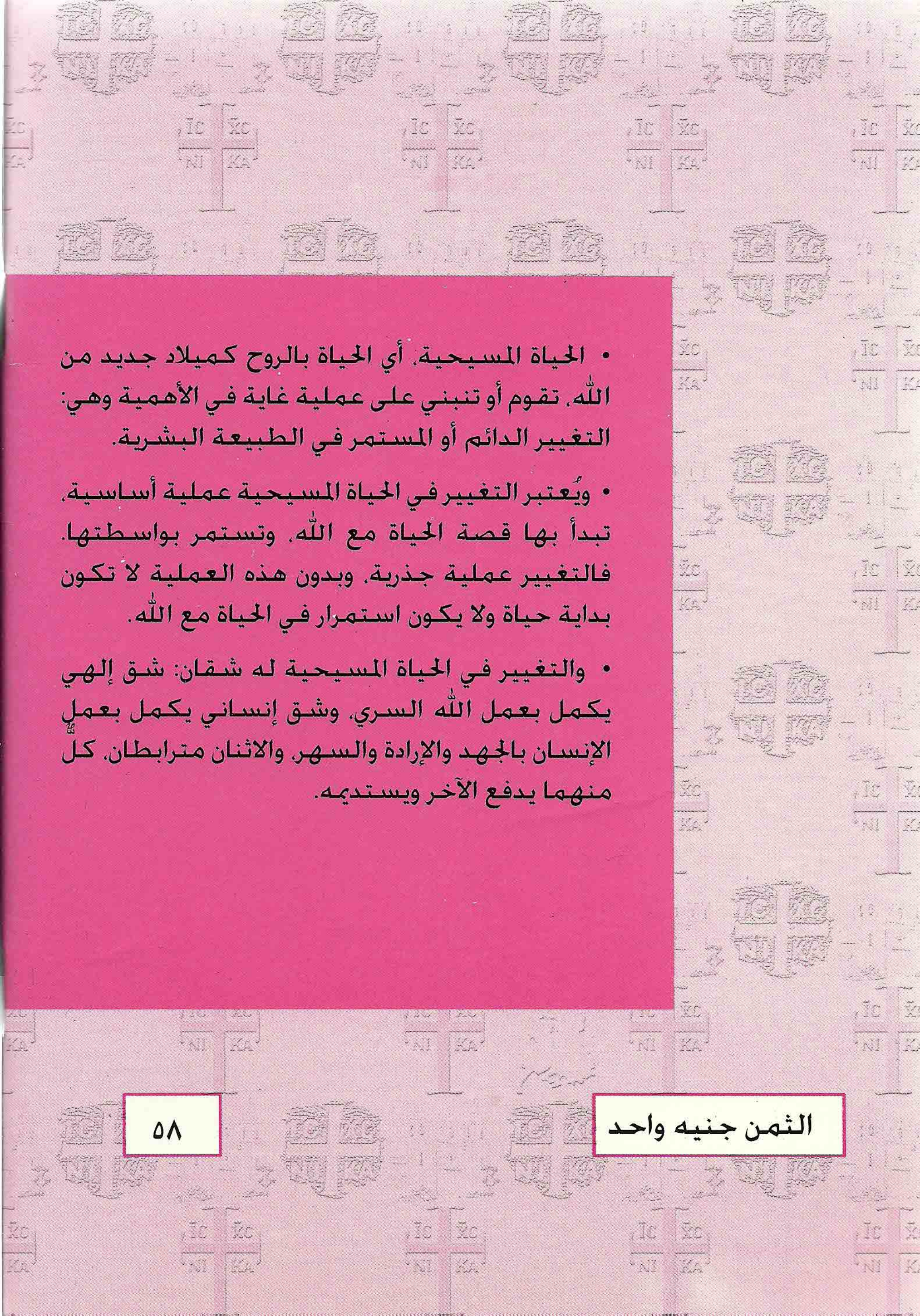
واضح هنا لماذا يريد منا بطرس الرسول بعد ذلك أن نربط ذهننا ونصحو ونتمسك بالنعمة أشد التمسك عند قراءة أو سماع الإنجيل ، لأن القديس بطرس ينبهنا أن هذه الأمور كُتبت لنا خصيصاً سواء في العهد القديم أو الجديد ، وأنه قد

تعين بوعد مؤكد أن النعمة ستخدمنا في ذلك خدمة خاصة «**النعمة التي لأجلكم**»، لتفتح بصيرتنا وتمدنا بقوة الروح القدس لنحصل على خلاصنا كاملاً، وندرك أسرار المسيح التي لنا والتي تشتهي الملائكة أن تطلع عليها!!

وهنا يركز بطرس الرسول على عامل النعمة بصورة قصوى عالماً أن لا سبيل إلى حصولنا على قوة عمل الخلاص فينا واستعلان سر المسيح في حياتنا إلا بالنعمة: «**فألقوا رجاءكم بالتمام على النعمة.**» (١بط ١: ١٣)

وإلقاء الرجاء يفيد التسليم الكلي لقيادة النعمة والتمسك بعملها تمسكاً شديداً وكاملاً كما يتمسك إنسان أعمى بيد بصير، أو بوضع أصح كما تمسَّك الأعمى ابن طيما بأصابع المسيح التي مرت على عينيه فأعادته بصيراً. هنا كلمة «**بالتمام**» تفيد أن النعمة قادرة جداً أن تكمل عملها فينا، والأمر ينتظر أن نلقي كل رجائنا عليها.

+ + +



- الحياة المسيحية، أي الحياة بالروح كميلاد جديد من الله، تقوم أو تنبني على عملية غاية في الأهمية وهي: التغيير الدائم أو المستمر في الطبيعة البشرية.

- ويُعتبر التغيير في الحياة المسيحية عملية أساسية، تبدأ بها قصة الحياة مع الله، وتستمر بواسطتها. فالتغيير عملية جذرية، وبدون هذه العملية لا تكون بداية حياة ولا يكون استمرار في الحياة مع الله.

- والتغيير في الحياة المسيحية له شقان: شق إلهي يكمل بعمل الله السري، وشق إنساني يكمل بعمل الإنسان بالجهد والإرادة والسهر، والاثنان مترابطان، كل منهما يدفع الآخر ويستديمه.

الثمن جنيه واحد